﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٣١ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ٣٢ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ٣٣ ﴾ [البقرة: 31-33]

❁ مُنَاسَبَةُ الآيَاتِ لِمَا قَبْلَهَا:

لـمَّا كان في قول الملائكة عليهم السلام إشارةٌ إلى فَضْلِهم على الخَليفةِ الذي سيَجْعَلُهُ اللهُ تعالى في الأرض؛ أَعْلَمَهُم سُبْحَانَه بأنَّ الأمر على خِلَاف ما ظنُّوا؛ فشَرَعَ يُقيم الدَّليل على ذلك، بذِكْرِ سببِ استحقاقه الخلافةَ، وبيَّنَ لَهُمْ فضلَ آدمَ عليه السلام ليَقِفُوا بذلك على كمال حكمةِ اللهِ ﷻ وعلمِه في استخلافه[1].

قال الفخر الرّازي في بيان وجه المناسبة: "اعْلَم أنَّ المَلائِكَةَ لَمّا سَألُوا عَنْ وجْهِ الحِكْمَةِ في خَلْقِ آدَمَ وذُرِّيَّتِه وإسْكانِه تَعالى إيّاهم في الأرْضِ، وأخْبَرَ اللَّهُ تَعالى عَنْ وجْهِ الحِكْمَةِ في ذَلِكَ عَلى سَبيلِ الإجْمالِ بقَوْلِه تَعالى: ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾، أرادَ تَعالى أنْ يَزِيدَهم بَيانًا، وأنْ يُفَصِّلَ لَهم ذَلِكَ المُجْمَلَ، فَبَيَّنَ تَعالى لَهم مِن فَضْلِ آدَمَ عليه السلام ما لَمْ يَكُنْ مِن ذَلِكَ مَعْلُومًا لَهم، وذَلِكَ بِأنْ عَلَّمَ آدَمَ الأسْماءَ كُلَّها ثُمَّ عَرَضَهم عَلَيْهِمْ لِيُظْهِرَ بِذَلِكَ كَمالَ فَضْلِهِ وقُصُورَهم عَنْهُ في العِلْمِ، فَيَتَأكَّدَ ذَلِكَ الجَوابُ الإجْمالِيُّ بِهَذا الجَوابِ التَّفْصِيلِيِّ"[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَدَاتِ:

1) ﴿ٱلۡأَسۡمَآءَ﴾: الأسماء جمع اسمٍ؛ مشتقٌّ مِنَ السُّمُوِّ على الصَّحيح[3]؛ وهو "ما يُعْرَفُ به ذاتُ الشَّيءِ"[4].

---

(1) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 1/94، والبقاعيّ، نظم الدّرر: 1/240-241، والسعدي، تيسير الكريم الرَّحمن، ص: 48.

(2) الرازي، مفاتيح الغيب: 2/190-191.

(3) الخليل، العين: 7/318.

(4) الرّاغب، المفردات، ص: 428.

و(الاِسْمُ) يُستعمل استعمَالَيْنِ[1]:

أحدهما: استعمال اصطلاحيٌّ؛ وهو كلمة دلَّت على معنًى في نفسها ولم تقترن بزمَنٍ[2].

والآخر: استعمال لغويٌّ؛ وهو ما دلَّ على مسمًّى، فتشملُ أقسامَ الكلمةِ كلَّهَا: الاسمِ، والفعلِ، والحرفِ، وهذا هو المرادُ ههنا؛ وذلك لِوَجْهَيْنِ:

الأوَّل: أنَّ معرفة الأسماء الاصطلاحيَّة دون الأفعالِ والحروف؛ لا تحصلُ بها مَلَكَةُ الكلامِ، فلا يقَعُ المَدْحُ بمعرفَتِهَا وحدَهَا، فضلًا عن إيقاع المفاضلَةِ بمجرَّدِهَا.

والآخر: أنَّ للاسم مَعْنَيَيْن -على ما سبق آنفًا-، ولا يصحُّ حملُ (الأسماء) في الآية على معناها الاصطلاحيِّ؛ لأنَّه معنًى حادِثٌ، والقرآنُ الكريم لا يُفسَّر بالاِصْطِلَاحَات الحادثةِ، وإنَّما يُفسَّر بمعهود كلامِ العرب، وإذا بطلَ تفسيرُ (الأسماء) بِهَذَا المعنى؛ تعيَّنَ حملُها على المعنَى الآخرِ.

2) ﴿سُبْحَانَكَ﴾: التَّسبيحُ: التَّنزيه، وتسبيح اللّٰه تعالى: تنزيهُهُ عنْ كلِّ سوء[3]، ويُطلَق التَّسبيح على الصَّلاةِ[4].

وأمَّا (سُبحانَك) فترجع إلى المعنى المُتقدِّمِ الذِّكْرِ، وهي مِن جهة الصِّناعة اللَّفظيَّة: اسمُ مصدرٍ يلزَمُ النَّصْبَ على المفعوليَّةِ المطلقةِ بفعلٍ واجبِ الحذفِ؛ اتِّباعًا لِلاستعمال الواردِ عَنِ العرَبِ، فقَوْلُ القائلِ: سبحانَك؛ بمعنى: أسبِّحُك تَسْبِيحًا[5].

3) ﴿تُبْدُونَ﴾: فِعْلٌ مضارعٌ للفعل (أبدى) مسنَدًا إلى واو الجماعةِ، ومادَّتُهُ -وهي الباءُ والدَّال والواو- تدلُّ على الظهور؛ يُقال: بدَا الشَّيْءُ يبدُو، بمعنى: ظهر[6]، وأَبْدَى: أظهر.

4) ﴿تَكْتُمُونَ﴾: الكافُ والتَّاء والميمُ تدُلُّ تصارِيفُها على الإِخْفَاء والسَّتْرِ[7]، ومصدرهُ: الكَتْمُ والكِتْمَانُ[8].

(1) الرّاغب، تفسير الرّاغب: 1/144.
(2) السُّيوطي، همع الهوامع: 1/25.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (سبح).
(4) الأنباريّ، الزّاهر: 1/50.
(5) سيبويه، الكتاب: 1/322. ناظر الجيش، تمهيد القواعد: 6/2859.
(6) ابن فارس، مقاييس اللغة: (بدو).
(7) ابن فارس، مقاييس اللغة: (كتم).
(8) الجوهريّ، الصِّحاح، ونشوَان الحِمْيَرِيّ، شمس العلوم: (كتم).

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

ولبيانِ فضل آدم عليه السلام وإظهارِ منزلته؛ علَّمه اللّٰهُ تعالى أسماءَ الأشياءِ كلّها ومسمياتها -ألفاظها ومعانيها-، ثُمَّ عَرض مسمَّياتها على الملائكةِ قائلًا لهم: أخبرُوني بأسماء هؤلاء الموجودات إِن كُنْتُم صادقين في أنَّكم أفضلُ مِن هذا الذي سأَسْتَخْلِفُهُ، وأنَّكم أحقُّ بالاستخلاف في الأرض مِنْهُ.

فأجابَت الملائكةُ مُعْتَرِفِينَ: نُنَزِّهُكَ يا ربَّنا عن كلِّ ما لا يليق بكَ، ليس لنا مِنَ العِلْمِ إلَّا ما علَّمْتَنَاهُ؛ فإنَّك العليم بكلِّ شيءٍ، الحكيمُ في شَرْعِك وقدَرِك.

فحينئذٍ طلب اللّٰهُ سبحانه مِن آدَم عليه السلام أن يُخبر الملائكةَ بأسماء تلك المُسمَّيات، فلمَّا أخبرهم بذلك كمَا علَّمه اللّٰه تعالى؛ قال اللّٰه ﷻ لِلْمَلَائِكَةِ: أَلَمْ أُخْبِرْكُم بأنِّي أعلم ما خَفِيَ في السَّماوات والأرضِ، وأعلَمُ جميعَ أحوالِكم الظاهرةِ والباطنَةِ؟[1].

❁ الإِيضَاحُ اللُّغَوِيُّ وَالبَلَاغِيُّ:

بلاغةُ عطفِ المفصَّل على المجملِ:

إِقَامَةُ الدَّلِيل على استحقَاقِ آدَم عليه السلام الخلافةَ

عُطِفت هذه الجملة على ما قبلَهَا؛ مِن باب عطفِ المفصَّلِ على المجمَلِ؛ فإنَّ قوله تعالى قبلُ: ﴿قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ أي: مِن استحقاق هذا المخلوقِ الخلافةَ في الأرض؛ فهو استدلالٌ مجمَلٌ، أُعْقِبَ بذكر الدَّليل التَّفصيليِّ في قوله: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا﴾ الدالِّ على فضيلةِ آدمَ[2] عليه السلام.

تَعْرِيفُ ﴿ءَادَمَ﴾ بِالعَلَمِيَّةِ؛ لكمَالِ تَمْييزِه عَن غَيْرِه وعَدَمِ اشتباهِهِ:

ذُكِرَ آدَمُ عليه السلام ههنا باسمه العلَم؛ زيادةً في التَّعيين؛ إذِ العلَمُ يُعيِّنُ مسمَّاهُ دون حاجةٍ إلى قرينةٍ، "ولأنَّ ذكرَه بعنوان الخلافةِ لَا يُلَائِمُ مقامَ تمهيدِ مباديها"[3].

---

(1) أبو المظفَّر السمعانّي، تفسير القرآن: 1/65، 66، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 1/222، 227، والشَّوكاني، فتح القدير: 1/76، 78، ونخبة من أساتذة التّفسير، التّفسير الميسّر، ص: 6.

(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 1/407.

(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السَّليم: 1/84.

دلالة اللَّامِ في ﴿ٱلۡأَسۡمَآءَ﴾:

عَظِيمُ فَضْلِ اللهِ تعالى علَى آدَمَ عليه السلام بِتَعْلِيمِهِ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ

اللَّام في ﴿ٱلۡأَسۡمَآءَ﴾ إمّا أن تُحمل على استغراق أفراد الجنس[1]، ويُؤيِّدُه ما جاء عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أنَّه قال: "علَّمه القَصعةَ من القُصَيْعَة، والفَسْوَة من الفُسَيَّة"، والمقصود مِنْهُ بيانُ عموم الأسماءِ المعلَّمَةِ، ويؤيِّدُهُ تأكيدُ الأسماءِ بقوله تعالى: ﴿كُلَّهَا﴾؛ فإنَّ فائدتَهُ رفعُ توهُّمِ إرادةِ عدَمِ الشُّمولِ[2].

ويَحْتَمِلُ أن تكونَ اللَّامُ لِلْعَهدِ الحضوري، أي: علَّمه أسماءَ المسمَّيات الحاضرةِ، ولا يتعارضُ هذا مع التَّأكيد في ﴿كُلَّهَا﴾؛ لأنَّهُ يُحْمَلُ على أسماءِ المسمَّياتِ الحاضرةِ كُلِّها، وهذا الاحتمالُ مآلُه احتمالٌ آخر وهو أنْ تكونَ اللَّامُ عوضًا عَنِ المُضافِ إِلَيْهِ، أي: أسماء المُسَمَّيات.

توجيه التَّعْبِير بِـ ﴿عَرَضَهُمۡ﴾ دُونَ (عَرَضَهَا):

الجمعُ بين فنِّي التَّغليب والاستخدامِ؛ لبيانِ فضيلةِ العقلاء على غيرِهم

قالَ سُبحانه: ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ﴾ ولم يقُل: (عَرَضَهَا) وهو الظَّاهرُ؛ لأنَّ المعرُوضَ هو مسمَّياتُ الأشياءِ لا أسماؤُها[3]، وهي إمَّا أن تُحمل على التغليبِ، ففيهَا العاقلُ وغيره، إلَّا أنَّه غُلِّبَ العاقلُ تشريفًا وإن كان غيرُ العاقلِ أكثرَ[4]، وإمَّا أن تُحمل على فنِّ الاستخدام[5]؛ حيث إنَّ الضَّميرَ عادَ على ﴿ٱلۡأَسۡمَآءَ﴾ بغيرِ المعنَى الأوَّلِ الذي دلَّ عليه الاسمُ الظَّاهرُ، فالأسماءُ استغراقٌ لجميع الأسماءِ، والضَّمير عادَ على أسماءِ العقلاء، وبه يحسُنُ التَّوجيه بالتَّغليبِ والاستخدامِ معًا.

---

(1) القُشَيريّ، لطائف الإشارات: 1/76، وابن عجيبة، البحر المديد: 1/94، والاستغراق المذكور يحتمل أن يكون استغراقًا عرفيًّا، كما مال إِلَيْهِ ابن عاشور في التَّحرير والتَّنوير: 1/409.

(2) الخطيب القزوينيّ، الإيضاح في علوم البلاغة: 2/44.

(3) الشِّنقيطيّ، أضواء البيان: 1/32.

(4) عبد القاهر الجرجانيّ، درج الدُّرر: 1/141، والقِنَّوْجِي، فتح البيان: 1/129.

(5) الاستخدام هو: أَنْ يُذكر لفظٌ بمعنًى، ثمَّ يُعادَ عليه ضميرٌ أو إشارةٌ بمعنًى آخَرَ، وهذه إحدى صوَرِه، ينظر: عبد المتعال الصَّعيديّ، بغية الإيضاح: 4/599.

مَعْنَى اللَّامِ فِي (ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ):

اللَّام في (ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ) لِلْعَهد الذِّكْرِيِّ الصَّريحِيِّ؛ فإنَّ الملائكةَ تقدَّمَ ذكرُهُم في قوله سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾، ولا ينافي هذا أن يكون اللَّفظُ عامًّا؛ إذْ قد يُعْهَدُ مِنَ اللَّفظِ معناه العامُّ.

دلالة الأَمْرِ فِي ﴿أَنۢبِـُٔونِي﴾:

نَـقْـلُ الملائِـكَـةِ مِـنَ التَّـعْـجيز عـنِ الإنـبـاءِ إلى التَّنبيهِ إلى فضْلِ آدمَ عليه السلام

غرضُ الأمرِ في قوله سبحانه: ﴿فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي﴾ يحتملُ عدَّةَ معانٍ؛ فإمَّا أن يُرادَ به التَّعجيزُ، فإنَّ الله تعالى أراد بيانَ عجزِ الملائكةِ عَنْ علم ما يَرونَهُ فَكَيْفَ بما خَفِيَ؟! "فلا يظنُّون أنَّهم أعلَمُ مِنَ الخليفةِ الذي يَجْعَلُهُ اللهُ في الأرض"[1].

وإمَّا أن يُرادَ به التَّنبيهُ[2]، أي: تنبيهُ الملائكةِ إلى فضيلة آدمَ عليه السلام.

ولا تعارُض بين الغَرضين؛ إذْ يمكن أن يُقال: إنَّ إرادة تعجيزِهم ليس لذات التَّعجيزِ، بل ليُنتقلَ مِنْهُ إلى معرفة قَدْرِ آدمَ وفضيلَتِهِ؛ فبدأ بتعجيزِهم وانتهى بتنبيههم.

سِرُّ التَّعْبيرِ بِـ ﴿أَنۢبِـُٔونِي﴾ دُونَ (أَخْبِرُونِي):

التَّعبير بالإنباء دونَ الإخبار؛ لكون النَّبأِ هو الخبرَ العظيمَ ذا الشَّأن، وهذا مُشْعِرٌ بعَظَمَةِ ما عُلِّمَهُ آدَمُ عليه السلام مِن الأسماءِ، وبِهِ يظهَرُ فضلُهُ على الملائكة إذْ لَمْ يعلمُوا ذلك[3].

بلاغَةُ الإيجَازِ بِالحَذْفِ:

إقَامَةُ الدَّليلِ على أَحَقِّيَّةِ آدمَ عليه السلام بِالاِسْتِخْلَافِ في الأَرْضِ

في قوله: ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ إيجازٌ بالحذف مِن وَجْهَيْنِ:

أحدهما: حَذْفُ جوابِ الشَّرْطِ؛ وذلكَ لدلالة المذكُور عَلَيْهِ[4]، والتَّقدير: إن كُنْتُم صادقِينَ فأَنْبِئُونِي بأسماءِ هَؤُلَاءِ.

(1) الواحديّ، التَّفسير الوسيط: 1/117.
(2) النَّيسابوريّ، إيجاز البيان: 1/82.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السَّليم: 1/85.
(4) أبو السّعود، إرشاد العقل السَّليم: 1/85.

والآخَرُ: حَذْفُ متعلَّقِ ﴿صَٰدِقِينَ﴾، أي: في أنِّي لا أخلق مَن هُوَ أعلَمُ مِنْكُم وأفضَلُ، أو أنِّي أجعَلُ في الأرضِ مَن يُفسِد فِيهَا[1]، أَوْ في زَعْمِكُم أنَّكم الأحقُّ بالاِسْتِخْلَافِ في الأرض[2].

سَبَبُ فَصْلِ الجُمْلَةِ عَمَّا قَبْلَهَا:

التَّرْتِيبُ المعنَوِيُّ في الـمُحَاوراتِ يُغْنِي عَنْ إِيرَادِ الحُرُوفِ

فُصِلَ قولُه سبحانه: ﴿قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ﴾ عمَّا قبلَه؛ لِما بَيْنَهُمَا مِن شبهِ كمالِ الاتِّصالِ؛ فإنَّ الجملةَ الثَّانية بمنزلة الجواب عَن سؤالٍ يُفهم مِنَ الأولى[3]، وذلك أنَّه لـمَّا قال تعالى: ﴿فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ انْبَعَثَ في نفسِ السَّامعِ سؤالٌ: فما كان قيلُ الملائكةِ لربِّهَا ﷻ، فجاء الجواب: ﴿قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ﴾.

والجُمَلُ المفتتحَةُ بالقَوْلِ، إذا رُتِّبَ بعضُها على بعضٍ في الـمَعْنَى؛ فلَا يُؤْتَى فِيهَا بالحرفِ في الأَفْصَحِ؛ اكْتِفَاءً بالتَّرْتِيبِ الـمَعْنَوِيِّ[4].

بَرَاعَةُ الِاسْتِهْلَالِ فِي افْتِتَاحِ المَلَائِكَةِ بِتَسْبِيحِ اللهِ تَعَالَى:

مُلَازَمَةُ الملائِكَةِ الأَدَبَ مَعَ اللهِ تعالَى وتعظيمهُ

في افتتاح قول الملائكةِ بتَنْزِيهِ الله ﷻ ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾ براعةُ استهلالٍ مِن جِهَتَيْنِ[5]:

إحداهما: أنَّ فِيهِ أدبًا وتعظيمًا لصاحبِ العظمَةِ الـمُطلقةِ ﷻ، وافتِتَاحُهُم بِهِ تعجيلٌ بِمَا يدُلُّ على ملازمةِ ذلك الأدبِ والتَّعظيم.

والأخرى: أنَّ فِيهِ إيماءً بالاعتذارِ عَنِ السُّؤالِ المتقدِّمِ في قولِهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾، وأنَّ سُؤَالَهم كان استفسارًا ولم يَكُنِ اعْتِرَاضًا[6].

(1) ابن الجوزيّ، زاد المسير: 1/53.
(2) البيضاويّ، أنوار التَّنزيل: 1/69.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السَّليم: 1/85.
(4) الآلوسّي، روح المعاني: 1/228.
(5) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 1/413-414.
(6) البيضاويّ، أنوار التَّنزيل: 1/69.

بلاغةُ فَصْلِ قَوْلِهِ: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾ عَمَّا قَبْلَهُ:

إتباعُ الاعتذارِ الصَّريحِ باعتذارٍ كنائيٍّ لِكَمَالِ الأَدَبِ مَعَ الله تعالى

فُصِلَ قوله تعالى: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾ عن جملة ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾؛ لما بينهما مِنْ كمالِ الاتِّصالِ؛ إذْ كِلَا الجملتينِ اعتذارٌ عَنِ المراجعةِ السَّابقةِ، إلَّا أَنَّ الأولى اعتذارٌ صريح، والثَّانيَةَ اعتذار كنائيٌّ، وقد جاءَ آخرًا لا ابتداءً، فكان تقديمُ الاعْتِذَارِ الأوَّلِ قبل الثَّاني أدخلَ في الأدبِ والتَّعْظِيم، فنُزِّلتِ الثَّانيةُ منزلةَ التَّأكيدِ للأُولى، ثُمَّ إنَّ كلا الجملتين خبريَّةٌ.

بلاغةُ التَّعليلِ بين الجُمَلِ:

تضمينُ جُملَةِ التَّعليلِ المَدْحَ والثَّناءَ زيادةً في الأدَبِ والاعتذارِ

من كمَالِ أدَبِ الاعتذَارِ تعليلُ المُعْتَذِرِ بمَدْحِ المُعتَذَرِ منه، وعليه فقولُه تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ مسُوقٌ مساقَ التَّعليلِ لقولهم: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾؛ "لأنَّ المحيطَ علمُه بكُلِّ شيءٍ المُحْكِمَ لكُلِّ خلقٍ، إذَا لم يجعل لبعضِ مخلوقاته سَبِيلًا إلَى عِلْمِ شيءٍ؛ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ قِبَلٌ بِعِلْمِهِ"[1].

نُكْتَةُ تَأْكِيدِ قَوْلِهِ: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ بِأَنْوَاعٍ مِنَ المُؤَكِّدَاتِ:

عِلْمُ اللهِ وحِكْمَتُهُ؛ مُطْلَقانِ عَامَّانِ ثابِتانِ

هذه الجملة -﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾- خبريَّةٌ مؤكَّدَةٌ بأربعةِ مؤكِّدات:

أولها: (إنَّ)، في قوله: ﴿إِنَّكَ﴾.

ثانيها: القَصْر، وذلك بتعريف جزأَي الجملةِ.

ثالثها: ضمير الفصل (أَنْتَ)؛ فإنَّه يقوِّي القصرَ في الجملةِ إذا وُجِدَ طريقٌ للقصرِ فيهَا -كما في هذه الآية-.

رابعها: اسمية الجملة؛ فإنَّها آكدُ من الفعليَّةِ؛ لما تُفيده من الثبات والدَّوام.

وفي تأكيدِهَا هذا التَّأكيدَ مبالغةُ الملائكةِ في الاعتذار عمَّا يُوهِمُهُ سؤالُهُم الاسترشاديُّ من شائبةِ الاعتراضِ[2].

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 1/414.

(2) محمَّد رشيد رضا، تفسير المنار: 1/220.

سِرُّ اختيارِ صِفتي العَلِيمِ والحَكيمِ:

تضمينُ التَّعليلِ الأُسلوبيّ، التِّعليلَ بالصِّفات

اختَارَ النَّظمُ صفتي العَليم والحَكِيم؛ لمُناسبَتِهما لِسياقِ الآيَةِ: أمَّا وجه مناسَبةِ صِفَةِ العَلِيم؛ فلأنَّ المطلُوبَ هو الإخبارُ بعلم الأسماءِ. وأمَّا الحكيمُ؛ فهي بيانٌ لإقرارِهم في اختيارِ مَنْ يصْلُحُ للخلافةِ، فأُقيمَتْ الصِّفتان مقامَ التَّعليل في ضِمنِ أسلوبِ التَّعليلِ.

سِرُّ ترتيب صِفَتَي العَلِيم الحَكيم:

مراعَاةُ السِّياقِ، والتَّرقِّي، ومناسَبَةُ آخِرِ الكلامِ لمطلَعِه

جاءَتْ صِفتا العَلِيم الحَكِيم بهذا التَّرتيب، ولم تَأْتِيا على العَكْسِ؛ كما في قولِه تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الزخرف: 84]؛ لأربعةِ أوجهٍ:

الأوَّل: لأنَّ المقامَ للعلْمِ، فناسبَ هذا تقديمَهُ.

الثَّاني: ليكون ذِكْرُ الأسماء على جهة التَّرقِّي؛ فإنَّ مفهومَ الحكمةِ زائدٌ على مفهوم العِلْمِ[1]، ولأنَّ الحكمةَ أثرٌ لِلعِلْمِ[2].

الثَّالث: ليكون اسمُ العليم مُتَّصلًا بقوله: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ۖ﴾ وهو أنسبُ له في المعنَى.

الرَّابع: ليكون آخرُ ما قالوه -وهو ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾- ملائمًا لأوَّل مقالتِهم؛ فيكون من مناسبةِ مقاطِعِ الكلامِ لمطالِعِه.

دلالة النِّدَاءِ في ﴿يَٰٓـَٔادَمُ﴾:

النِّداء في قوله: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ﴾ نداءُ تكريمٍ وتشريفٍ، بقرينةِ المقامِ؛ فإنَّهُ مقامُ إظهارِ فضلِ آدَم عليه السلام وشرفِهِ بالعِلْمِ.

سِرُّ التَّعْبِيرِ بِـ﴿أَنۢبِئْهُم﴾ دُونَ (أَنْبِئْنِي):

إعلامُ الملائكَةِ بانتقالِ آدَمَ من رُتبةِ التَّعلُّمِ إلى رُتبةِ التَّعليمِ

جاءَ التَّعبيرُ بقولِه سبحانه: ﴿أَنۢبِئْهُم﴾، ولم يقُل: (أنبئني)؛ تنبيهًا إلى رسوخِ علم آدَم عليه السلام بأسماء هذه المسمَّيات، وأنَّه انتقلَ

(1) البيضاويّ، أنوار التَّنزيل: 1/70، والخفاجيّ، عناية القاضي: 2/128.
(2) ابن عادل، اللُّباب في علوم الكتاب: 1/522.

مِن رُتْبة التَّعلُّم إلى رتبة التَّعليم، ولئلَّا تَسْتَوْلِي عَلَيْهِ المهابَةُ؛ إِذْ إِنَّ إنباء العالِم ليس كإنباءِ غيره[1].

نُكْتَةُ العُدُولِ مِنَ الإِظْهَارِ إلى الإِضْمَارِ:

بـيـانُ كَـمَـالِ العِنَايَةِ بِشَأْنِ الأسـمـاءِ وأنَّـها المقْصُودُ بالكَلامِ

في قوله: ﴿فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ﴾ إظهارٌ في موضع الإضمار؛ إِذْ مُقْتَضَى الظَّاهر: "فلَمَّا أنبأهم بِهَا"، ولهذا العدولِ نُكْتَتَانِ[2]:

إحداهما: إظهارُ كمالِ العِنَايَةِ بِشَأْنِ الأَسْمَاءِ، وبيانُ أنَّها المقصُودُ بالكلام.

والأخرى: الإعلام بأنَّ آدَم عليه السلام أنبأَ بِهَا على وجه التَّفصيلِ لا على وجْهِ الإجْمَالِ.

أَثَرُ الاِسْتِفْهَامِ فِي المُخَاطَبِين:

سَعَةُ عِلْمِ اللهِ تَـعَـالَى ظَـاهِـرًا، وسَـعَـةُ حِـلْـمِـه ضمنًا

الاسْتِفْهَامُ في قوله: ﴿قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ يَحْتَمِلُ أن يكُونَ لِلتَّقرير[3] – وهو حَمْلُ المخاطَب على الإقرار بما يَعْرِفُه[4]–، أي: قد قلتُ لكم ذلك، وهو يَتَضمَّنُ اللَّومَ والتَّوبيخ[5]؛ لما بدَرَ مِنْهُمْ مِنَ الاسْتِفْسَارِ المُشْعِرِ بنوعٍ مِنَ الاعْتِرَاضِ[6]؛ ففيه بَيَانُ سَعَةِ عِلْمِه وحِلْمِه، أمَّا سَعَةُ العِلم فظَاهِرَةٌ، وأمَّا سَعَةُ حِلْمِه فبما أرخَى لَهُم مِنَ اتِّساعِ السُّؤالِ، والحِلم عَلَيْهِم بالتَّجاوزِ والعَفوِ.

نُكْتَةُ ذِكرِ الجَارِّ والمَجرُورِ:

اللَّومُ والعِتابُ؛ لتَعليم العِبادِ تَـفـويـضَ الأَمـرِ لِله وحدَه

ذُكِرَ الجارُّ والمجرورُ ﴿لَّكُمۡ﴾ في قَوْلِه تعالَى: ﴿قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾، ولم يقُل: (أَلَمْ أَقُلْ إِنِّي)؛ زِيَادَةً في اللَّوم والعِتَاب، وفيه تَعليمُ العِبادِ تَفويضَ الأَمرِ له سُبحانَه دُونَ سِواه، بِمعرِفَةِ أَنَّه سُبحَانَه يَعْلَمُ ما فِيهِ مَصَالِحُ العِبَادِ ظَاهِرًا وبَاطِنًا.

(1) أحمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي: 1/84.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السَّليم: 1/86.
(3) الواحديّ، التَّفسير البسيط: 2/357.
(4) حامد عَوني، المنهاج الواضح: 2/104.
(5) الواحديّ، الوجيز، ص: 99.
(6) الإيجِي، جامع البيان في تفسير القرآن: 1/40.

سِرُّ الإيجَازِ بِالِاكْتِفَاءِ:

مَنْ يَعْلَمُ الغَيْبَ يَعْلَمُ الشَّهَادَةَ مِنْ بَابِ أَوْلَى

في قولِه ﷻ: ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ إيجازٌ بالاكتفاءِ، أي: وأعلمُ شهادتَهُمَا، وإنَّما اقتُصِرَ على ذكرِ الغيبِ؛ لأنَّ الذي يعلم الغيبَ يعلم الشَّهادةَ بطريقِ الأَحْرَوِيَّةِ[1]، ولأنَّ السِّياقَ حديثٌ عمَّا سَيكُونُ في المُسْتَقبَلِ، فالغَيْبُ هنا هو غَيْبُ المُسْتَقبَلِ.

نُكْتَةُ الإيجَازِ بِالِاحْتِبَاكِ:

إِحَاطَةُ عِلْمِ الله تعالى بالمَاضِي والحَاضِرِ والمُسْتَقْبَلِ

في قوله ﷻ: ﴿وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ﴾ إيجازٌ بالاحتباكِ[2]؛ أي: أعلَمُ ما تُبْدُونَ وما كُنْتُم تُبْدُونَ، وأعلَم ما تكتمُون وما كنتُم تكتمون، فحُذِفَ من الأوَّلِ (ما كنتم تبدون)؛ لدلالة الثَّاني عَلَيْهِ وهُو قوله: ﴿وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ﴾، وحُذف مِنَ الثَّاني (ما تكتمون)؛ لدلالة الأوَّل عَلَيْهِ وهو قوله: ﴿وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ﴾، ولذا سمَّى هذا النَّوعَ بعضُ العلماءِ: الحذفَ المُقابَلِيَّ[3].

فيكون الكلامُ دالًّا على الحالِ والماضي، ويدلُّ على المستقبَلِ مِنْهُمَا أيضًا[4]؛ إمَّا أخذًا مِن دلالة المضارعِ بحملِه على مَعْنَيَيْهِ معًا: الحالِ والاستقبالِ، وإمَّا بفَحْوَى الكلامِ؛ فإنَّ عالِمَ الماضي والحال على وجهِ الإحاطةِ: عالمٌ بالمستقبَلِ.

وفي طباق الإيجاب بَيْنَ ﴿تُبۡدُونَ﴾ و﴿تَكۡتُمُونَ﴾ إيماءٌ إلى إحاطة اللّٰه تعالى بكلِّ شيءٍ علمًا.

نُكْتَةُ ذِكْرِ (كَانَ) فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ﴾:

التَّنبيه الضِّمنيُّ على أمرٍ تَعْرِفُه الملائكةُ من أنْفُسِهَا

قال سُبحانه: ﴿وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ﴾ دون (وما تكتمونَ)؛ لِلْإِعْلَامِ بأنَّه سبحانه عالمٌ بما استمرُّوا على كتمانِهِ في الماضي،

(1) الآلوسّي، روح المعاني: 1/229.

(2) الاحتباك: أن يُحْذَفَ مِنَ الأوائلِ مَا جاء مقابِلُهُ في الأواخِرِ، ويُحْذَفَ مِنَ الأواخرِ ما جاءَ مُقابلُهُ في الأوائلِ، ينظر: عبد الرَّحمن حبنَّكة، البلاغة العربيَّة: 1/54.

(3) الزَّركشّي، البرهان: 3/129.

(4) الآلوسّي، روح المعاني: 1/229.

وللتَّنبيهِ الضِّمنيِّ على أمرٍ تَعْرِفُه الملائِكَةُ من أنْفُسِهَا؛ فهو بمثَابَةِ الإشَارَةِ إلى أمرٍ كَتَمُوه، مع التَّصريحِ بعُمُومِ عِلْمِه لِكُلِّ ما كَتَمُوه، كما سَيأْتِي.

بلاغَةُ حَذْفِ العَائِد:

التَّنبِيهُ علَى العُمُومِ، لِلتَّنَاسُبِ السِّيَاقِيّ، والائْتِلافِ اللَّفظِيّ

حُذِفَ العَائدُ من قوله: ﴿مَا تُبْدُونَ﴾؛ للعُمُوم؛ فيدخُلُ كُلُّ ما أبْدَوْه، دونَ تخصيصِ ما قَالُوه في شَأْنِ الخَلِيفَةِ وحْدَه، وحُذف العائدُ من قوله: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾؛ للعُموم؛ فيدخُل فِيهِ كُلُّ مَا كَتَمُوه، وهو الأَنْسَبُ بالسِّياقِ، في ذِكْرِ أمرِ العِلْمِ.

ومراعاةُ الفواصلِ تابِعَةٌ للمَعْنَى، ومَا أَجْمَلَ ائتِلافَ المَعَاني بالأَلفَاظِ، ويَظْهَرُ التَّناسُبُ في الحَذْفِ بينَ ﴿مَا تُبْدُونَ﴾ و﴿تَكْتُمُونَ﴾.

❁ الفُرُوقُ المُعْجَمِيَّةُ:

النَّبأُ وَالخَبَرُ:

ظاهر صنيعِ كثيرٍ مِن أصحاب المعجماتِ أنَّهما مترادِفَانِ[1]، ولعلَّه جَرْيٌ مِنْهُمْ على المسامحةِ؛ تقريبًا لِلْمَعَاني، بل إنَّ بعضهم نصَّ على ترادُفِهِمَا[2].

وفرَّق بَيْنَهُمَا جماعةٌ مِن أهلِ العلم – وهو التَّحقيقُ–؛ وذلك أنَّ النبأَ هو الخبرُ الذي له خَطْبٌ وشأنٌ، ومِنْهُ سُمِّي النَّبِيُّ نبيًّا؛ لأنَّه يوحَى إلَيْه، والوحي: خَبَرٌ عظيمٌ له شأنٌ، بخلاف الخبرِ فهو أَعَمُّ؛ إذ يُطْلَقُ على ما له شأنٌ وما ليس كذلك[3].

وذكر أبو هلالٍ فرقًا آخرَ؛ وهو أَنَّ النَّبَأَ لا يكون إلَّا لِلْإخبار بما لا يعلمه المُخْبَرُ، بخلاف الخَبَرِ؛ فإنَّه أعمُّ مِنْهُ، فيكون لِما يعلَمُه المُخْبَرُ ولِمَا لا يعلمُهُ[4].

وهذا الفرق فيه نظر؛ فإنَّ اللّه تعالى قال: ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ﴾ [التوبة: 70]، والاستفهام في ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ﴾

(1) الخليل، العين: (خبر)، والأزهريّ، تهذيب اللُّغة: (نبأ)، والجوهريّ، الصِّحاح: (نبأ)، والفيروزابادي، القاموس المحيط: (نبأ).
(2) الزَّبيدي، تاج العروس: (نبأ) و(خبر).
(3) أبو حيَّان، البحر المحيط: 8/227، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 2/306، والشِّنقيطيّ، العذب النَّمير: 1/476، 2/104، 138، 607.
(4) أبو هلالٍ العسكري، الفروق اللُّغويَّة، ص: 528.

للتَّقريرِ[1]؛ أي: قد أتاهُمُ نبأُ الذِينَ من قَبْلِهِمْ، فقد عَلِمُوهُ قبلُ، ومع ذلك وقع التَّعبير عَنْهُ بلفظ النَّبأ.

الكِتْمَانُ وَالإِخْفَاءُ:

الفَرْقُ بينَهُمَا: العمومُ والخصُوصُ المُطْلَقُ؛ فالكِتْمَانُ أَخَصُّ مطلقًا مِنَ الإِخْفَاءِ؛ وذلك أنَّ الكتمانَ خاصٌّ بسَتْرِ المعاني، فيُقال: كتَمَ السِّرَّ والخبَرَ، بخلاف الإخفاءِ؛ فإنَّهُ أعمُّ؛ فيكون لِلْمَعَانِي ولِلْمَحْسُوسَاتِ[2].

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 10/260.

(2) أبو هلال العسكريّ، الفروق اللُّغويّة، ص: 448، وابن سِيدَه، المخصّص: 4/39.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الأول، من سورة الفاتحة إلى الآية 97 من سورة البقرة
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: من سورة الفاتحة إلى الآية 97 من سورة البقرة [إشراف مجمع القرآن الكريم،
قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 1 ، 800 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-52-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 1 : من سورة الفاتحة إلى الآية 97 من سورة البقرة.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-52-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9609262 بتاريخ 2023/03/10م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»